إضاءة

شارل بيلّا مجهودُ حياة أهدره الإهمال

معجم لم يرَ النور

كان شارل بيلّا ـ وهو أحد أبرز المستعربين الفرنسيين في القرن العشرين ـ يعمل على تأليف معجم فرنسي ـ عربي ليكون من أكثر القواميس ثراءً ودقّة لو نُشر. لكنّ قلّة الاهتمام بأرشيفه الشخصي، بعد رحيله، ستترك مادّته المعجمية عرضةً للضياع

نجم الدين خلف الله

قِصّة هذا المُعجم حقيقةٌ، لا أثرَ للخَيال فيها. سأرويها بموضوعيّةٍ وصدق، بالاعتماد على مَوثوق الشهادات وملاحَظة العيان. كان المُستعرب الفرنسي الكبير شارل بِيلّا (1914-1992) مُدرّسًا للغة والآداب العربيّة في «مَعهد اللغات الشرقيّة» بباريس، والذي كان مقرّه بالدائرة السابعة في قلب باريس، غير بعيد عن مُؤسسات الدّولة العريقة. ولأسباب سياسيّةٍ متصلة بثورة أيار/مايو 1968، تلك التي هزّت الجامعات الفرنسيّة ونادت بدمقرَطة التعليم العالي، نُقلت أقسام اللغة العربيّة والفارسيّة والتركيّة والعبريّة، وهي اللغات النادرة، إلى ضاحية أنْيير (Asnières) شمال باريس، وهي منطقة شعبيّة، حيث أقيم مبنًى خاص بهذه اللغات، وأضيفت إليها الألمانية فيما بعد.

وفي أحد المكاتِب المتواضعة، المُلاصقة لقاعة الأساتذة، كان هذا المُستعرب يَشتغل بصبر: يستقبل طَلبتَه ويحرّر موادّ «الموسوعةَ الإسلاميـة» التي تولّى إدارة نُسختها الفرنسيّة منذ سنة 1956 حتى وفاته. وفي مَكتبه ذاك، أرسى خَزائنَ حديديّة طويلة، كتلك التي نُشاهدها في مَكاتب المخابرات بأوروبّا الشرقية سابقًا، لترتيب جُذاذاته المعجمية التي حرّرها بخَطّ اليَد. وهي تتألّف من عشرات الأدراج، تُحدثُ مثلَ رجْع الصدى حين تُفتَح أو تُغلَق. وفي كل درج حديديّ تتراصف الإضبارات المربّعة، التي لاَ يتجاوز طولُها وعَرضُها عشرَة سنتمترات. تتضمّن كلّ إضبارة منها مُفردة فرنسيّة في الأعلى، تليها تَرجَمتها بالعربية الفصحى، وأحيانًا مقابلاتٌ من الدّارجات المغاربيّة ومن الأمازيغيّة، إذ كان الرجل يُتقن ما يزيد على عَشر لغاتٍ. وكانت نيّة هذا العالِم، حسبَ ما صَرّح به، إنجازَ مُعجم مُزدوج يُنافس به معجمًا ثلاثيّ اللغات، كَتَبَه هو سابقًا، مع زملائه ريجيس بلاشير وكلود دُنيزو ومصطفى الشويمي، وصَدر في ثلاثة أجزاء (1970) ولمّا يكتمل. وقد أقصيَ منه شارل بيلاّ بطريقة مُهينة رواها في مُذكّراته، «حياة مُستعرب»، التي طَبعها عبد العزيز الغُزّي سنة 2007، في مطبعَة «مكتبة ابن السّرّاج» بباريس، رغم أنّ هذه المذكّرات لم تَكتمل هي الأخرى.

ويبدو أنّ شارل بيلّا كان ينوي تخصيص إضبارةٍ لكلّ مَدخَل معجميّ، مع التركيز على مفردات العربية الحديثة ومقابلاتها الفرنسيّة. فهو، بهذا الاختيار، مُعجم مزدوج: فرنسيّ - عربي. وقد قَسّمه إلى ثلاثة سجلّات لسانيّة: الفصيح، لهجات المغرب الكبير والأمازيغيّة. وقد تَميّز بالتركيز على المعاني التي ظهرت في القرنَيْن التاسع عشر والعشرين، إلى جانب ما خَرَج من الاستعمال لتقادمه. وكان شارل بيلّا شديد الدقّة في تحديد الدلالات التي تكتسيها الأفعال والأسماء وذِكْر تغييراتها بتغيّر ما يلحق الكلام من أدواتٍ وحروف.

إلّا أنّ يَد المنون اختَطفَت هذا الأستاذ سنة 1992، بعد أسابيع قصيرَة من المَرض، فتَخَلّى عن إدارته «الموسوعة الإسلاميّة»، وتَركَ خزائنه وأدراجه الحديديّة يتيمةً، تتآكل تحت غُبار الإهمال والنسيان، من دون أن يتسلّمها أحدُ من أسرته، حيث إنّه تقاعد من جامعة السّوربون منذ سنة 1978، ولكنّه ظلّ يتردد على مكاتبه في «معهد اللغات الشرقيّة» وفي «السوربون» حتى وفاتِهِ. وظلّت تلك الإضبارات، وعَددها بالآلاف، رهينة الخزائن الصلبة. في كلّ مرّةٍ، يدخل أستاذ فيلقي عليها نظرة ولا يزيد على تحريك الكَتفَيْن، على أمَل أن يرقنها أحَدُ يومًا ما. ومِثلَ زُملائي، رأيتُها لأول مرة سَنة 1997، أيْ بعد خمس سنواتٍ من وفاة منشئها، وظللتُ أراها حتى سنة 2009 قابعةً في مكانها لا يأبه بها أحدُ لِخطَر المهمّة وجسامة المسؤوليّة أو تهيّبًا لميراث الرّجل العالِم وما يمكن أن يَنجمَ عن فتح «صندوق بندورا» ذاك من قضايا قانونيّة متعلّقة بحقوق الملكيّة، وهي في فرنسا شائِكة.

ومن ألطاف القَدر أنّ أستاذ المَعْجَمة العربيّة، العيادي شابير، وهو باحثُ تونسيّ مقيم بفرنسا، اقترح على طالبة دكتوراه جمع تلك المواد ورقنها ودراستَها. ولكنَّ ظروفًا ماديّة ولوجستية حالت دون إتمام المشروع.

ضرورة إنقاذ معجم حافظ على العربية وتحوّلات معانيها

ركّز على معانٍ ظهرت في القرنين التّاسع عشر والعشرين

ولم يتحصّل هذا الأستاذ إلّا على مساعدة ضئيلة، تَمكّنت بفضلها الطالبة من رَقن مداخل الحروف الفرنسية الأولى فقط: A، B، C، D، وحفظها في ملفّاتٍ، إنقاذًا لها من التلاشي.

ولمّا أراد هذا الأستاذ، بعزيمته الصلبة، مُواصلة بقية المواد، تغلّلت الإدارة بشحّ الموارد واحتجّت بأنّ القواميس الورقيّة قد تجاوزتها الأحداث وأنّ طريقة الشرح والمعاني الواردة فيها ضَرَبَها البلى، وأنّ الأولويّة الآن لتمويل الأعمال الرقميّة. وكانت رَقمَنة الأبحاث المعجمية ومدوّناتها في بداياتها وتُعَدّ حينَها، في تاريخ الألسنيّة، فتحًا مبينًا. أذْعَن الأستاذ بمَرارةٍ لهذه القرارات الاعتباطيّة. وظلّت قضية الإضبارات تُطرح بانتظام. وقد بَلغتْ بي السّذاجة أنّي طَلبت نَقلها، على حسابي الخاصّ، إلى قبوٍ في بيتي. وفي تلك الفترة بالذات، سنة 2010، انتقل المعهد من ضاحية أنيير الشمالية إلى الدائرَة الثالثة عَشرَ بباريس، في مبنى جديد يُطلّ على نهر السّين. ويبدو أنّ أمينَةَ المعهد، دانيال لوهنار، والتي أوكِلَ إليها أمرُ إغلاق المركز بأسره ونقل محتوياته، أمرت شاحنات النّظافةَ بأن تحمل تلكَ الخزانات بما فيها، بعد أن رَفضت إدارة المعهد تَسلّمها، لتُلقى في مَكبّات النفايات والأوراق.

وفي تلكَ اللّحَظات الحاسِمة، هاتَفَ حارِس المبنى، بمحض إرادته، العيّادي شابير طالبًا منه أن يحضر إلى عَين المكان قبل أن تحمل الشاحنة أكياس الإضبارات وتُلقيها. حَضَرَ على جناح السرعة، وطلب من السائق تركَ الأمور على حالها. وهاتَفَ سالم شاكر، نائبَ رئيس «معهد اللغات الشرقية» وأستاذ اللغة الأمازيغية، والتمس منه أن تُنقل تلك الكراتين إلى فرع من فروع المعهد ومنه إلى مقر الإدارة الذيَ بقي مفتوحًا في الدائرة السابعة. فَوافق على تسلّمها.

وما تزال منذ ذلك الحين، تقبع هناك ولا أحد يجرؤ على التعامل معها. ولكنَّ القَضاءَ حُمَّ، وألقيت ثلاثة أكياس منها في المزابل، تلك التي تقع مباشرة جانب الباب، والتي تُغطّي الكلمات المبدوءة بالحروف الأخيرة من الألفباء الفرنسي: Y، X، Z، باعتبار أنّ شارل بيلّا جَعلها في آخر الغُرفة، حذوَ المدخل، بعد أن رتّب خزائنه فيها حسب تسلسل الحروف.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

inalco
BULAC

واجهة «معهد اللغات الشرقية» كما تبدو اليوم في الدائرة الثالثة عشرة في باريس

حياة قرب العربية

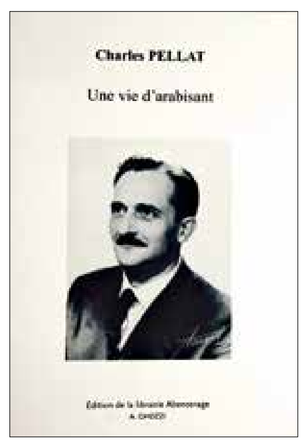

وُلد شارل بيلّا في الجزائر عام 1914 وعاش في طفولته في المغرب. درس الأمازيغية والعربية، التي سيصبح معلّماً لها عام 1947. وضع رسالة دكتوراه حول «بيئة البصرة وتكوين الجاحظ». حرّر وترجم العديد من المؤلّفات من العربية، كأعمال للجاحظ والمقدسي وابن المقفّع. ووقّع عناوين عدّة، مثل «اللغة والأدب العربيّان» (1952) و«دراسات في التاريخ السيوسيوثقافي للإسلام» (1976)، كما ترك مذكّرات بعنوان «حياة مستعرب» (الغلاف).

صوت جديد

استنطاق اللامرئي بلسان الأشباحِ والرياح

علي رحمن

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

بابل ـ **العربي الجديد**

علي رحمن

■ كيف تفهم الكتابة الجديدة؟

كتابة الشعر وميضٌ من الإيهام والإحالة والمشهدية، استنطاقُ اللامرئي بلسان الأشباحِ والرياح؛ أن تدرك المعنى بعينٍ ثالثةٍ تكتنزُ الضوءَ من البحر أو الشمس. ليسَ ثمةَ كتابةٌ جديدة وكتابة قديمة: ثمةَ من يحمل روح الأسلافِ بقلبٍ طاهر، وثمةَ الدنيء.

■ هل تشعر بنفسك جزءاً من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

لا أؤمن بالمجايلة. هي فكرةٌ واهية، فالزمن وريثُ الشاعرية الصافية، وعلى العالم أن يدركَ أنّ الشاعرَ جمرةٌ تتوقّدُ في كلّ مكانٍ وزمان، وتنفي الأبعادَ بينهما في الوقت ذاته.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

ليس لي سوى أن أكتفي بالنزر اليسير جداً من العلاقات مع الشعراء. هذا الفضاء ضيقٌ وكثرةُ الأصواتِ توردُ في الإنسان الضياع.

■ كيف تصف علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

علاقة تقتصر على رؤية الأصدقاء.

■ كيف صدر كتابك الأول وكم كان عمرك؟

صدر لي الكتاب الأول بعنون «أرواح خلفَ الشباك»، بعد مشاركتي في مسابقة للشعر أقيمت في كلّيّة اللغات في «جامعة بغداد» عام 2017 ونلت فيها المركز الأول. كان عمري 20 سنة حينها.

■ أين تنشر؟

ليس لي موقع محدّد أنشر فيه القصائد. أكتفي في أحيان كثيرة بالنشر على مواقع التواصل الاجتماعي.

■ كيف تقرأ وكيف تصف علاقتك مع القراءة: منهجية، مخططة، عفوية، عشوائية؟

القراءة وهج الكاتب، نظير الكتابة. ثمةَ ما يدفعك لتقرأ، ثمة مَن يصرخ قائلاً إن هذه المعرفةُ غير كافية، ولستُ أحمل عبء كيفية القراءة؛ قد أقرأ كتاباً في الشهر وقد أقرأ عشرةَ كتب، هي أصرة الرغبة.

الترجمة خلقٌ جديد للمعرفة، بناءٌ تشيّده المنارات في لغة جديدة

■ هل تقرأ بلغة أخرى إلى جانب العربية؟

بالتأكيد، هذا ما تحتّمه دراستي للغة الإنكليزية في كلّية اللغات في «جامعة بغداد».

■ كيف تنظر إلى الترجمة وهل لديك رغبة في أن تُتَرْجَم أعمالُكَ؟

الترجمة هي خلقٌ جديدٌ للمعرفة، بناءٌ تشيّده المناراتُ بأصواتٍ لم تنطق بهذه اللغةِ الجديدة، فيولد النص المترجم شرنقة توشكُ على التحليق دون القيود. أعني هنا الترجمة الجيدة والنبيلة. وبكلّ تأكيد، لي الرغبةُ في أن تترجم أعمالي، ولي فكرة أن أترجمها أنا شخصياً.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

بطاقة

شاعر ومترجم عراقي من مواليد بابل، 1997. درس في كلّية اللغات في «جامعة بغداد»، قسم اللغة الإنكليزية. صدرت له مجموعة نصوص بعنوان «أرواح خلفَ الشبّاك» عن «دار النواب» (2017)، وترجم «قصائد مختارة» للشاعر اللورد ألفرد تنسن صدرت عن «دار تأويل للنشر والترجمة» (2021). له قيد الطباعة مجموعة شعرية بعنوان «الناسك في ليل العالم الأخير»، ستصدر لدى «دار تأويل للنشر والترجمة».

معرض

نجاح البقاعي صوَر العذاب في معتقلات النظام السوري

ألمٌ يتمدّد في اللوحة

يمثّل المعرض المقام في باريس شهادة بصرية يقدمها الفنان السوري حول اعتقاله في سجون الأسد. حدثٌ يأتي بالتوازي مع صدور كتاب بالعنوان نفسه

باريس ـ **العربي الجديد**

بقلم الحبر الناشف، وثّق نجاح البقاعي فترة اعتقاله سنة 2011 في فرع الأمن العسكري، المعرف أيضاً باسم «الفرع 227»، ثم مكوثه في «سجن عدرا» بدمشق خلال عام 2014، حيث لم يجد بعد خروجه من المعتقل وسفره إلى بيروت، متنقلاً بين أكثر من بيت، سوى دفتره ليحفظ اسكتشاته الأولى من ذاكرة السجن.

رسَم الفنان السوري (1970)، المقيم اليومَ في فرنسا، مراحل الاعتقال من ضرب وركل ورُعب، وصولاً إلى لحظة نقل السجناءِ زملاءَهم الذين فارقوا الحياة تحت التعذيب إلى شاحنة الموتى، وغيرها من التفاصيل التي يقدّمها في معرضه «كلّنا شهود»، الذي افتُتح في غاليري FAIT & CAUSE بباريس منتصف آذار/مارس الماضي، بالتزامن مع الذكرى العاشرة لاندلاع الثورة السورية، ويتواصل حتى نهاية نيسان/إبريل الجاري.

يرسم البقاعي السجناء بهيئة شبحية؛ عراةً يسيّرهم الإنهاك والتعب، في لحظة يصعب فصل الألم فيها عن الفن، والتعامل معه وفق منحى جمالي. ذلك أن سحق الكائن البشري يصل هنا إلى حدوده القصوى، ولا يمكن حتّى للكوابيس أن تتجاوز في فظاعتها ما يذهب إليه الواقع الذي يعيشه هؤلاء السجناء.

الحفر وسيط فني ملائم لتقديم القضية التي يعالجها الفنان، مع إمكانية تكثيف الأسود في العمل الفني وإبراز الحالة النفسية المركّبة التي يعكسها اجتماع هذه الأجساد المقهورة والمعذّبة في فضاء يبدو فيه كل شيء مضغوطاً وسابحاً في الفراغ الداكن الذي يعادل موضوعياً اليأس والقنوط من النجاة من بطش السجّان. فراغ ممتلئ بالوحشة، جاثم على السجناء، بما يتطابق مع وصف البقاعي للسجين بأنه «معلّقٌ على الدوام بين الحياة والموت».

تذكّر هذه المناخات بعوالم الفنان الإسباني فرانشيسكو دي غويا، مع فارق أساسي أن البقاعي كان يرسم وقائع اختبرها وعايشها عشرات الآلاف من السوريين، وباتوا يعلمون بما كان يحصل خلف القضبان، بينما كان غويا يرسم كائنات مسخية في محاولة لتخيّل القمع والعذاب الذي مارسته محاكم التفتيش بإسبانيا، وذهب ضحيتها آلاف الأبرياء.

تجسّد الأعمال زنزانة مساحتها ستّة وخمسون متراً مربعاً، حُشر فيها أكثر من مئة وعشرين معتقلاً، من مختلف الأعمار، إذ كان عددٌ من الفتيان القاصرين بينهم، مع تنويعات مختلفة للتعذيب الذي ذهب ضحيته اثنا عشر سجيناً أمام مرأى البقاعي، بينما قضى آخرون مرضاً، أو على يد الجلاّد الذي يظهر أحياناً وهو يخنق السجناء بيديه، كما يوثّق ذلك أحد الأعمال المعروضة. بالتزامن مع المعرض، صدر كتابٌ بالعنوان ذاته عن دار «أكت سود» الفرنسية، تضمّن صوراً لكلّ الأعمال المعروضة التي قدّم لها الناقد والمؤرخ الفني الفرنسي جيروم غودو، في حين وقّعت الصحافية السورية هالة قضماني سيرةً للبقاعي. ويشتمل الكتاب على أربعة وعشرين تعليقاً وشهادة ونصاً مكتوبة انطلاقاً من أعمال البقاعي والفظاعات التي تصوّرها، ووقّعها أكثر من عشرين كاتباً وفنّاناً، مثل نانسي هيوستن من كندا، وسانتياغو ألبا ريكو من إسبانيا، وأمادو آمال دجايلي من الكاميرون، وجاك بيرتران من فرنسا، وألان رايدنغ من بريطانيا، ومحمد برادة من المغرب، وسنان أنطون من العراق، وحبيب عبد الرب سروري من اليمن، وعلاء الأسواني من مصر، ووجدي معوّض ودومينيك إدّه من لبنان، وسمر يزبك من سورية، وغيرهم.

رسومات بالحبر وأعمالُ حفر تصوّر مشاهد التعذيب والقنوط

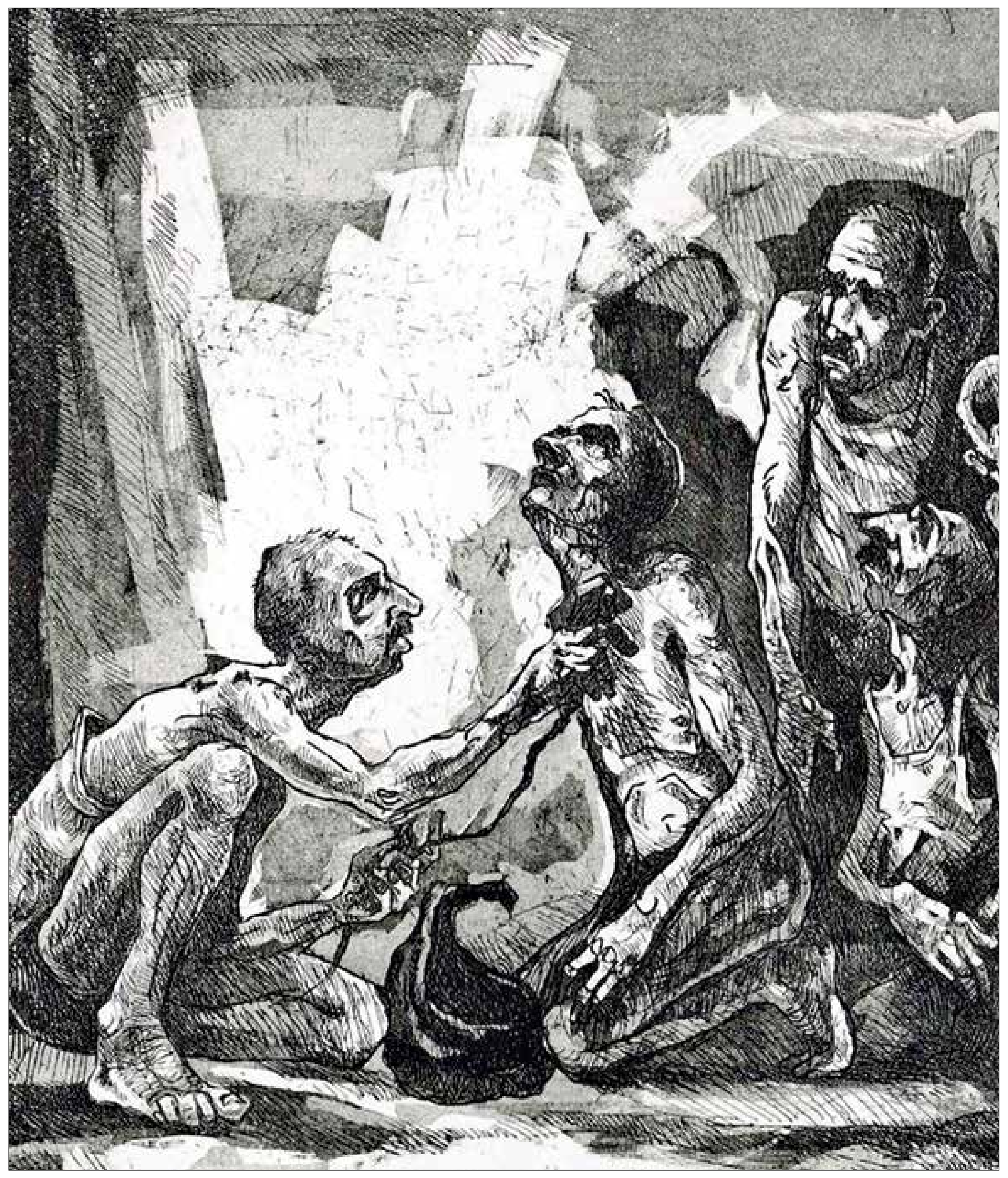

جزء من إحدى لوحات المعرض

فعاليات

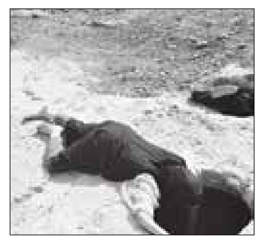

بدءاً من الخامسة من مساء غد الخميس بتوقيت فلسطين، يستضيف «مركز خليل السكاكيني» في رام الله عرضاً لفيلم **نور عبد**، **أعددنا الأغاني للحروب القادمة** (40 دقيقة، 2021)، يرافقه أداء موسيقي حيّ لضرار كلش. انطلاقاً من حكايات شفاهية، يبحث العمل في دور الفولكلور كمصدرٍ معرفي في فلسطين.

ينظّم **معهد برلين للمبحث الثقافي**، بدءاً من الثالثة من عصر الأحد، 29 نيسان/إبريل وحتى التاسعة من مساء اليوم التالي، سلسلة من الندوات تحت عنوان **أرشيف مضاد**، يبثّها عبر موقعه الإلكتروني. يتناول المحاضِرون استخدامات الأرشيف في سياقات تحرّرية ولمواجهة تحريف التاريخ. من الباحثين المشاركين علياء مسلّم، ودانيلا أغوستينيو، وجاكوبو غاليمبرتي.

العراق، مصيرٌ تراجيدي عنوانُ لقاء تنظّمه افتراضياً **مجلّة ملتقيات البحر الأبيض المتوسّط** الفرنسية، عند السادسة والنصف من مساء بعد غدٍ الجمعة. يشارك في اللقاء الباحثون والأكاديميون مريم بن رعد، وعادل بكوان، وجان ماركو، وميريام يعقوبي، فيما يديره رئيس تحرير المجلّة، بيير بلان.

تستضيف **ساقية عبد المنعم الصاوي** في القاهرة، عند الثانية عشرة والنصف من ليلة السبت ـ الأحد 24 ـ 25 نيسان/إبريل، **حفلاً موسيقياً لفرقة الخان**، تقدّم خلاله عدداً من الألحان والأغاني الطربية التراثية. تأسّست الفرقة، التي تُعنى بالموروث الغنائي العربي، عام 2014، ويقودها فادي المغربي.